اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته عن ابراهيم وابنائه عليهم السلام
من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار
اى تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لشيء يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور
حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا
مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يترتب عليه شيء هو من
مباديه العادية لمن يختبر عبده ليعلم حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من
المصالحة وابراهيم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني
والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة
كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري
في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره لعنوان الربوبية
تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر
خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي تظهر بحسن
قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها لارشادهم الى طريق الاتقان للامور ببنائها على التجربة
والايذان بان بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مبنية على تلك القاعدة الرصينة وقعت
بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها
دعوة ابراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي الآيات
بعد ورد بانه يأباه الفاء فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس
في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك
وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء
بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن
واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه
كله الا ابراهيم عليه السلام ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام
عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الخ وعشر في المؤمنين وفي سأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم

يحافظون

يحافظون وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجم والختان على الكبر
والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلوة والزكوة و
الصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل هو قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الى آخر الآيات ثم
قال انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي
واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه
اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن اى قام بهن حق
القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى
وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله ما ساله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآية وقوله عز وجل قال على
تقدير استئناف اذ جعله جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من هذا
الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلي مما دعا الى الاحسان
اليه فبعد حكايتهما يترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا بعد ذلك فقيل
قال انى جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة
عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه
اذ يقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة
على قال وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما
واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام من يؤتم به وكل نبي امام
لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مأمورا باتباع ملته قال استئناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال
ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية
متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتي كما تقول وسأكرمك زيدا او بمحذوف اى واجعل
فريقا من ذريتي اماما وتخصيص بعض ذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان
كانوا على الحق وقيل التقصير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة
من ذرو او ذريت والاصل ذرورة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة

Copyright © King Saud University